الاسود ـ كاميرالاي) · مع ذلك يمكن ان نقول ان الخصب التطبيقي في عمل لوكاش لم يتضمن دائما خصبا وتطورا نظريا موازيا ، فقد بقي لوكاش اسير نظريته اللامنجزة التي وضعها في عام ١٩٣٥ · فما هي حدود هذه النظرية ؟

اقام لوكاش نظريته في الرواية معتمدا ماركسية محددة في زمانها التاريخي وزمانها النظري · زمانها التاريخي كان زمن الستالينية الذي يجعل من الفرضية قانونا ومن النظرية معتقدا جامدا ومن التفكير النظري زندقة ، ولا يسمح بالتالي الا بأطروحات رهينة ومرهونة أي ناقصة ومساومة · أما زمانها النظري فكان زمن نظرية محدودة التطور تتحرك بتراث ماركس وانجلز ولينين الذي لم يجب على كل الاسئلة · واذا كانت الماركسية كنظرية قد تركت جملة من الاسئلة الاساسية بلا اجابة فان الميدان الذي ولجه لوكاش كان اكثر فقرا وتعقيدا · فنظرية الفن الماركسية كانت هشة ان لم تكن غائبة ، وكان على لوكاش ـ ذلك الباحث المتوحد ـ ان يعود الى شذرات ماركس وانجلز وان يعيد النظر في كتابات فرانز مهرنج وبليخانوف · ومن ذلك الارث المحاصر والمحاصر شرع لوكاش ذو الثقافة الموسوعية في بناء نظرية الرواية ، ورجع الى حيث ينبغي الرجوع ، او الى المفكر الذي لم يتحرر منه لوكاش ابدا ، رجع الى هيجل ، وحاول لوكاش الماركسي ان يضع نظرية هيجل في الرواية على قدميها ، اي حاول ان يقوم بقراءة ماركسية لنظرية هيجل المثالية ويعيد انتاجها ماديا بحيث تفارق حقلها المثالي وتنتمي الى النظرية الماركسية · لكن قراءة لوكاش الماركسية لهيجل لم تتم ولم يكن باستطاعتها ان تتم الا وفقا لشكل الفكر الماركسي المهيمن في زمانها · لهذا كان من الطبيعي ان ينسى لوكاش زمن القطع الذي يحكم علاقة الماركسية بالهيجيلية ، فقرأ هيجل كاستمرار لماركس ، واعتبر مخطوطات ١٨٤٤ مرجعا رئيسيا ·

استعاد لوكاش هيجل ماركسيا ، اخذ منه اشياء وحذف اشياء اخرى ، وعلى الرغم من هذه الاستعادة الماركسية ، فان لوكاش قد اخذ نظرية هيجل بخطها العام مضيفا اليها مضمونا ماديا ومنتجا في التحديد الاخير « نظرية هيجيلية ـ ماركسية » تتعايش فيها عناصر نظرية لا متجانسة محكومة بعنصر مادي مسيطر · وكما قال الناقد الفرنسي كلود بريفو Claude Prévost فان « تأثر » لوكاش بهيجيل في نظرية الرواية يتجلى عند مقارنة نص الاول بنص الثاني (٤) ، فلوكاش يكثر من الاستشهاد بهيجل ويستعير مفرداته وجمله ، وتتمحور هذه الاستعارة حول نصين اساسيين لهيجل، كما يستعين لوكاش بنص ثالث دون ان يشير اليه ، ويشكل هذا « النص الصامت » مفتاح نظرية لوكاش · وفي الحقيقة فان لوكاش يأخذ من هيجل تعريف الرواية وتعريف الملحمة وشكل العلاقة بينهما · واذا اقتربنا من المقارنة اكثر نجد ان لوكاش يأخذ تعريفات هيجل الاساسية (الرواية هي الملحمة البرجوازية العصرية · الرواية هي امتداد الملحمة في زمن آخر · الرواية هي ملحمة الكون المكسور الذي اجتاحه نثر الحياة اليومية ····) · لكن لوكاش المعروف برهافته النظرية لا يقف صامتا امام هيجل ، فهو يقرأ هيجل بعد قراءة بعض نصوص انجلز وماركس وخاصة « مقدمة في نقد الاقتصاد السياسي » · لذلك فهو يأخذ تعريف الرواية والملحمة ، لكنه يرفض المصالحة التي يقترحها هيجل بين زمن الشعر وزمن النثر ، بين البطل والعالم ، كما يرفض مفهوم البطل الايجابي المستسلم اليائس كما يقدمه هيجل ·

ومهما يكن من أمر فان ماركسية لوكاش في « نظرية الرواية » تبقى محاصرة ـ « الذوق » الفلسفي الكلاسيكي · ويتجلى هذا الحصار النظري او هذه النظرية المادية